التوجهات النقدية لرواية "عودة الروح"

دراسة

احمد بلدران

الطبعة العربية الأولى ١٩٩٩

رقم الإيداع ٩٩/١٥١٣٧

الترقيم الدولي I.S.B.N 977-291-180-9

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

المشرف العام على السلسلة الأدبية

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الالكترونى
مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات ت : ٣٤٤٨٣٦٨

أحمد بدران

التوجهات النقدية لرواية «عودة الروح»

مركز الحضارة العربية

إهداء

- *إلى زوجتي إلهام مصدر إلهامي ،*
- *وإلى أولادي الثلاثة ؛ باسل ، رواد ، وراوي*

شمس الربيع في خريف العمر

أحمد

مقدمة

يتناول هذا البحث اهتمامات النقاد، وتوجهاتهم النقدية والفكرية،لرواية عودة الروح لتوفيق الحكيم.

لقد وقع الاختيار على رواية "عودة الروح" بالذات لعدة أسباب أهمها:

(ا) لانتمائها إلى روايات النشأة، ولأنها تحتوي ملامح ومقاطع من حياة المؤلف وبيئته، فقد تجسدت فيها كل الملامح الأوتوبيوغرافية، الطروحات الفكرية، المظاهر الاجتماعية، والأحداث السياسية التي سادت تلك الفترة. وقد بيّن (روجر ألن) أنّ اسم الرواية يبيّن منذ البداية أنّ الرواية قد شحنت بتلك الطروحات الفكرية الثقيلة المتمثلة بالحركة الفرعونية التي سادت إلى حد كبير في الوقت الذي كتبت فيه الرواية، والتي جاءت لتجذّر فكرة مصر الخالدة على الرغم من تعاقب المحتلين، بالإضافة إلى ثورة ١٩١٩ التي برزت ملامحها في الرواية لتضيف بعداً تطبيقياً يعبر عن خلود المصريين وحسهم الوطني.[١]

(٢) لمكانتها بين هذه الروايات، كما أشار لذلك بعض النقاد، فقد اعتقد بعضهم أنها نقطة تحول في تاريخ الرواية، وعلاقة النضج الحقيقي لها (روجر ألن، إسماعيل أدهم، يحي حقي وغيرهم)، كما واعتبرها "غالي

---

[١] أنظر: روجر ألن، الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٦، ص ٣٧.

وقد التفت إلى ذلك (*Hamdi Sakkut*)فاعتبر عنوان الرواية عودة الروح بمثابة إشارة لعودة الروح القومية لدى المصريين، وإحيائها في ثورة ١٩١٩ التي قادها سعد زغلول، أنظر:

-Hamdi Sakkut, The Egyptian Novel and Its Main Trends From 1913 To 1952, Cairo: The American University in Cairo Press, 1971, p. 86.

"فاطمة موسى" تجزم أنّ "توفيق الحكيم" كتب روايته في باريس سنة ١٩٢٧، وقد كان متأثراً جداً بثورة ١٩١٩ ولهذا فالرواية تجسّد قضايا تميّز مصر في تلك الفترة. أنظر:

-Fatma Moussa - Mahmoud, The Arabic Novel in Egypt 1914-1970, Cairo: Egyptian General Book Organization, 1973, p. 25.

شكري" رائدة حقيقية للرواية المصرية، والوعي القومي.

(٣) لقربها – من ناحية زمنية (١٩٣٢) –من نهاية فترة النشأة. وقد ساهمت في تطور الرواية العربية وفي التمهيد لروايات فترة النضج، والوعي القومي.

الفرضية الأساسية لهذا البحث أن معظم النقاد للرواية قد توجهوا توجّها واقعياً وأولوا أهمية لعناصر خارج النص، فأقحموا ذات المؤلف، المحيط الزماني والمكاني الذي نشأت فيه الرواية وبحثوا عن أفكار الكاتب وآرائه ومواقفه، وفتشوا عن شخصيات وظفت لأغراض الكاتب وخدمة لمواقفه، وهي جميعها مظاهر أو دلائل أولية تبيّن توجه النقاد في نقدهم لهذه الروايات، فهم ساروا في نقدهم هذا مسار المذهب الواقعي في النقد والذي يجد أحيانا بالأدب عناصر تقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله، وأحيانا يستقي مادته ويستوحي موضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكله، أحيانا أخرى يُقصد به الأدب الموضوعي، وكأن واقع النفس الفردية لا يصلح مادة للأدب الواقعي، وهذا الأخير يسلمنا إلى المفهوم الاشتراكي لمعنى الواقعية في الأدب، حيث نرى الاشتراكيين يقصدون من هذه الواقعية تناول الأدب لمشاكل المجتمع ومظاهر آلامه وبؤسه، وذلك لإيقاظ وعي الجماهير ودفعها إلى حل تلك المشاكل بطريقة أو بأخرى.[٢]

من خلال ما تقدم فإن المدلول الاصطلاحي للفظة واقعية كمذهب أدبي ونقدي لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن المدلول الاشتقاقي المستفاد من كلمة واقع، لذا فإن البيئة الخارجية (المحيط الزماني والمكاني للكاتب) تلعب دورا مهماً عند المدرسة الواقعية ، فهي تقوم بدور المزود للكاتب من جهة (لان الكاتب يستمد من بيئته موضوعات أدبه)، ثم في نفس الوقت

---

[٢] أنظر: محمد مندور، الأدب ومذاهبه، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩، ص ٩٠ وما بعد.

تقوم بدور المتلقي، لان الكاتب في هذه المرحلة يستهدف تثبيت مـــا فـــي المجتمع من قيم أصيلة وصالحة. ويبغي تعميق القيم المنشودة وتأصيلـــها، وإحداث التغيير في المفاهيم الفاسدة، والأوضاع السيئة.

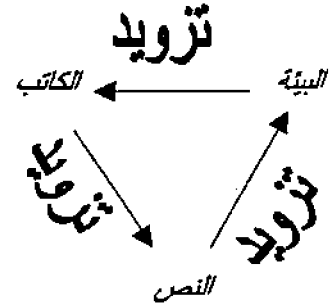

وهكذا فإنّ عملية التأثير والعلاقة الجدلية بين القارئ والنص تسير فـــي اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص. فبقدر مـــا يقدم النص للقارئ ويؤثر فيه، يضفي

القارئ على النص أبعاداً جديدة، وهذا مـــا يسـمى بنظريـــة التـــأثير والاتصال.[٣٢]

عندما نذكر كلمة (قارئ) نقصد من خلالها (الناقد) أيضا لأن النقاد هـم قراء بالأساس، فليس للناقد أيّ امتياز عن القارئ العادي سوى قربه مـــن النصوص، ووظيفته الأساسية محاولة فهم الكتاب، وتفســير نصوصـــهم . وأحيانا معرفة دلالة النص تعني عند بعض النقاد مدى ارتباط هذا النـــص

---

[٣٢] أنظر: نبيلة إبراهيم، القارئ في النص نظرية التأثير والاتصال، فصـــول، الأســلوبية المجلد ٥، عدد ٢، ١٩٨٤، ص ١٠١-١٠٨.

في هذا المقال تشرح "نبيلة إبراهيم" نظرية الناقد "حول التأثير والاتصال بيـــن القارئ والنص حيث يكون التأثير في اتجاهين.وهي بذلك تعـــارض أصحـــاب نظريـــة "الاستقبال" الذين رأوا التأثير باتجاه واحد من النص إلى القارئ فقط.

بأمور وعناصر أخرى خارجة عنه[٤]. ومن بين النقاد من حاول إقامة علاقة مباشرة بين النص الأدبي والواقع المعيش، فأقحم الخارج على الداخل، البيئة إلى النص، مولياً أهمية كبيرة للوقائع والأحداث التي عايشت رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم، أما الإهتمام بالنواحي الشكلية والأسلوبية للرواية، كالمبنى، مستويات اللغة، الرمز، فقد ورد كجزء من عرض المضمون. فالأشكال والأساليب لا تمثل انفصاماً عن الواقع، وإنما هي عملية حيّة متباينة تحتضن كل الواقع وبكل تكامله.[٥] نكاد لا نجد عند النقاد والدارسين الذين عالجوا رواية "عودة الروح" أيّ فصل بين الشكل والمضمون، لأن العناصر الشكلية عندهم داخلة في المضمون إلى درجة الخلط بينهما، والناقد بمعرض حديثه عن مضامين الرواية، بيئتها، الظلال التاريخية المحيطة بها، الطرح الفكري الخاص بالكاتب وحياة الكاتب نفسه، نجده يتعرض للنواحي الأسلوبية ومبنى الرواية مع الكثير من التماس بمضمون الرواية الذي يربطونه عادة بالواقع المعيش، ومسيرة حياة الكاتب.

---

[٤] أنظر: شكري محمد عياد، دائرة الابداع، مقدمة في أصول النقد، القاهرة: دار اليماس العصرية، ١٩٨٧، ص١٥١.-١٦٩

[٥] أنظر: ثابت بداري، الاتجاه الواقعي في الشعر العربي الحديث في مصر، دون دار نشر ، ١٩٧٩، ص ٢٣.